



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة تكريت  
كلية التربية للعلوم الإنسانية  
قسم الجغرافية

عنوان المحاضرة

جغرافية الأديان والمعتقدات

محاضرة لطلبة المرحلة الرابعة قسم الجغرافية لمادة الاجتماعية

م.د. محمود ابراهيم خلف

## المقدمة :

جغرافيا الأديان تركّز على دراسة توزيع الأديان في الفضاء وأصولها، وطرق انتشارها، وعلاقتها بالبيئة الطبيعية والبشرية. إنها تنظر إلى الدين بصفته موضوعاً للدراسة الجغرافية.

· الجغرافيا الدينية، بالمقابل، تهتم بكيفية إنتاج الدين للمكان، أي كيف تشكّل التصورات والممارسات الدينية الفضاءات المقدسة والمشهد الجغرافي وهو موضوع يقع في صلب الجغرافيا الاجتماعية، بل يشكّل واحداً من أبعادها الأكثر تعقيداً وإثارة. قبل أن نخوض في التفاصيل، دعوني أطرح عليكم سؤالاً بسيطاً: هل يمكننا فهم أي مدينة أو أي إقليم دون فهم معتقدات سكانه وتصوراتهم المقدسة؟

الإجابة، كما سترون خلال هذه المحاضرة، هي لا. فالدين ليس مجرد عقيدة فردية، بل هو نظام مكاني بامتياز، يؤثر في تشكيل المشهد ويتأثر به. ومن هنا تأتي أهمية جغرافية الأديان، ذلك الحقل المعرفي الذي يدرس التداخلات المعقدة بين الظاهرة الدينية والفضاء الجغرافي.

يقول الباحثون إنه "في جميع تشكيل وعكس الاختلافات الثقافية الإقليمية وهذا يفسّر لماذا تخصص كتب الجغرافيا البشرية فصولاً مستقلة للجغرافيا الدينية.

أولاً: ماهية جغرافية الأديان - إشكالية المصطلح

قبل أن نبدأ، لا بد من التوقف عند إشكالية المصطلح ذاتها هل نتحدث عن جغرافيا الأديان ام عن جغرافية دينية ؟

واقعيًا، بات التمايز بينهما أقل حدة في البحث المعاصر، لكن فهم هذا الفرق يمنحنا دقة منهجية مهمة. وكما تلخص إحدى الدراسات، فإن إشكالية هذا الحقل تنبع من البحث في العلاقة بين الدين والجغرافيا، وكيف يُنتج كل منهما الآخر.

لا يمكن فهم جغرافية الأديان دون استعراض جذورها التاريخية. تعود العلاقة بين الدين والجغرافيا إلى العصور الإغريقية، حيث قامت النظرة الغربية للعالم إلى حد كبير على مبادئ دينية.

لكن التأسيس الحقيقي للحقل جاء عبر مرحلتين رئيسيتين:

المرحلة الأولى: الجغرافيا الكنسية والتوراتية (القرنان ١٦-١٧)

· الجغرافيا الكنسية : ركّزت على دراسة توزيع المسيحية في العالم.

· الجغرافيا التوراتية : ركّزت على دراسة الجغرافيا التاريخية للفترة التوراتية.

المرحلة الثانية: التأسيس الأكاديمي الحديث

يُعتبر ديفيد إي. سوفر (David E. Sopher) رائد الجغرافيا الدينية الحديثة. في كتابه الصادر عام ١٩٦٧ بعنوان "الجغرافيا الدينية"، ثم في مقاله الشهير "الجغرافيا والأديان" عام ١٩٨١، وضع سوفر الأسس المنهجية لهذا الحقل.

طرح سوفر أربعة أسئلة جوهرية لا تزال تشكّل قلب البحث في جغرافية الأديان حتى اليوم:

١. ما تأثير البيئة على تطور النظم الدينية؟

٢. ما الطرق التي تغيّر بها النظم الدينية البيئة؟

٣. كيف تحتل النظم الدينية أجزاء الفضاء الأرضي وتشكّله؟

٤. ما أنماط توزيع الأديان وانتشارها وتفاعلها؟

ثالثاً: محاور البحث في جغرافية الأديان

بناءً على إرث سوفر وما تلاه من تطورات، يمكننا تحديد خمسة محاور رئيسية للبحث في جغرافية الأديان:

١. أصول الأديان وانتشارها

تدرس جغرافية الأديان مواقع النشأة (المراكز الأصلية) للأديان الكبرى، ومسارات انتشارها عبر الزمان والمكان. فالانتشار الديني لا يحدث في فراغ، بل يرتبط بـ:

- طرق التجارة
  - الهجرات البشرية
  - الفتوحات العسكرية
  - الأنشطة التبشيرية
- ويتميز الانتشار بأنماط مختلفة: انتشار بالتماس (مجاور)، انتشار هرمي (من المراكز الكبرى)، وانتشار إعادة التوطين (عبر الهجرات).
٢. التوزيع الجغرافي للأديان
- يهدف هذا المحور إلى رسم خريطة التوزيع المكاني للأديان والمعتقدات في العالم. ويمكننا التمييز بين:
- المناطق المتجانسة دينياً: حيث يهيمن دين واحد (مثل أغلب دول العالم الإسلامي، أو أميركا اللاتينية المسيحية كاثوليكياً).
  - المناطق المتنوعة دينياً: حيث تتعايش أديان متعددة (مثل الهند، ولبنان، ونيجيريا).
  - المناطق الحدودية الدينية: حيث تلتقي مناطق نفوذ دينية مختلفة (مثل البلقان، أو منطقة البحيرات الكبرى في أفريقيا).
٣. التنظيم الديني للفضاء
- الدين لا يقتصر على الاعتقاد، بل يُنتج فضاءً مادياً ومعنوياً. وهذا يشمل:
- الأماكن المقدسة: الكنائس، المساجد، المعابد، الأديرة، المقامات.
  - المدن المقدسة: مكة، المدينة، القدس، الفاتيكان، فاراناسي.
  - الحج: بوصفه حركة مكانية دورية تعيد إنتاج العلاقة بين المقدس والمؤمن.
٤. الدين والمناظر الطبيعية (اللانديسكيب)
- كيف يترك الدين بصمته على المشهد الجغرافي؟
- العمارة الدينية: أنماط بناء المساجد، الكنائس، المعابد التي تختلف من إقليم لآخر.
  - المقابر والمدافن: تعكس تصورات مختلفة عن الموت والحياة الآخرة.
  - تخطيط المدن: كيف تنظّم المدن نفسها حول مركز ديني (مثل المدينة المنورة حول المسجد النبوي).
٥. الدين والبيئة الطبيعية
- علاقة ثنائية الاتجاه:
- تأثير البيئة على الدين: الجبال، الأنهار، الغابات، الصحاري كثيراً ما تُقدّس في التقاليد الدينية (مثل: نهر الغانج في الهندوسية، جبل سيناء في اليهودية والمسيحية والإسلام).
  - تأثير الدين على البيئة: الممارسات الدينية تؤثر في استخدام الموارد الطبيعية (مثل تحريم أكل بعض الحيوانات، أو اعتبار بعض المناطق محميات مقدسة).
- رابعاً: المناهج والأدوات
- كيف يدرس الجغرافيون الدين؟ تتنوع المناهج بين:
- أولاً: المنهج الوصفي التقليدي
- وصف توزيع الأديان وخصائصها المكانية.
  - الاعتماد على الخرائط والإحصاءات السكانية.
- ثانياً: المنهج الكمي
- استخدام النماذج المكانية (مثل نموذج التفاعل المكاني).
  - تحليل الانحدار المتعدد لدراسة العوامل المؤثرة في التوزيع الديني.
  - نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لتحليل ورسم الخرائط الدينية.
- ثالثاً: المنهج النوعي (الجديد)
- تحت تأثير الجغرافيا الثقافية الجديدة، أصبح التركيز على المعاني والرموز، وكيف يختبر المؤمنون المكان المقدس.

- الاعتماد على العمل الميداني، المقابلات العميقة، وتحليل الخطاب.  
رابعاً: المنهج متعدد التخصصات  
· تداخل جغرافية الأديان مع علم الاجتماع الديني، الأنثروبولوجيا، علم النفس، والتاريخ.  
خامساً: دراسات حالة تطبيقية  
لماذا على الجغرافي أن يدرس الأديان؟  
الجواب يتلخص في ثلاث نقاط:
١. لفهم التنوع الثقافي: فالدين من أقوى عوامل تشكيل الهوية والاختلاف الثقافي بين المجتمعات.
  ٢. لفهم الصراعات والتعايش: كثير من الصراعات المعاصرة (والمعايشات السلمية) تحمل أبعاداً دينية مكانية.
  ٣. لفهم المكان نفسه: فكل مكان هو نتاج لتشابك معقد بين الطبيعي والبشري والاقتصادي والثقافي والديني.
- كما يقول أحد الباحثين: "الدين، من منظور جغرافي، يكتسب أهميته من كونه موجوداً ومنتشراً في جميع بقاع الأرض، ولا تخلو بقعة جغرافية منه". وهذا يعني أن فهم الجغرافيا بدون فهم الدين هو فهم ناقص